# مظفر النواب

## الثائر المتمرد

أما لماذا يثور الشاعر ويتمرد؟ فلذلك عدة أسباب.. يجئ فى مقدمتها الفساد السياسي الذى يطغى على كل شيء في المجتمع.. فتتفجر داخل الشعراء طاقة مشحونة بالثورة والضيق تمطر هذا الفساد بجمر من الكلمات يحرق.. ويصهر.. وربما يطهر أيضا.

أدرك ذلك الشاعر العربى مظفر النواب.. الذى اكتسب شهرة واسعة بقصائده اللاذعة الناقدة للنظام العربى.

ولد مظفر بن عبد المجيد النواب فى بغداد عام 1934 لأسرة ثرية تتذوق الموسيقى والأدب.

ويلتحق مظفر بالمدرسة وتظهر موهبته مبكراً.. ويشجعه المدرسون إلى أن صار شاعر المدرسة.

ويدخل كلية الآداب ببغداد.. لكن حدثاً كارثياً يقع فى أسرته حيث تعرض أبوه إلى هزة مالية أودت بثروته ومكانته الاجتماعية والثقافية.

ويتخرج مظفر فى كلية الآداب ويعمل فى وزارة التربية.. وبترقي فيها حتى صار مفتشا فنياً يرعي الموسيقيين والفنانين الصغار.

ثم يحدث فى بغداد تنافس دام بين القوميين والشيوعيين.. وكان يميل إلى الشيوعية.. فتعرض مع رفاقه لملاحقة أجهزة الأمن والمراقبة الشديدة

على حياته وكتاباته.. مما اضطره إلى الهروب إلى إيران عن طريق البصرة عام 1963.

وفى أواخر عام 1963 اكتشفت السلطات الإيرانية وجود مظفر داخل حدودها فقبضت عليه وسلمته إلى الأمن السياسي العراقي الذى أقام محاكمة عسكرية له انتهت إلى الحكم عليه بالإعدام.

ويسعى بعض المسئولين إلى تخفيف الحكم إلى السجن المؤبد.. ويودع مع رفاقه فى سجن (نقرة السلمان) بالقرب من الحدود السعودية فى قلب الصحراء.

لم يطق مظفر هذا السجن المظلم.. واستطاع هو ومجموعة من السجناء السياسيين حفر نفق من الزنزانة المظلمة يؤدى إلى خارج أسوار السجن.

وتكتشف السلطة هذا الهروب.. ويدوى الخبر فى أرجاء العراق والدول العربية الأخرى المجاورة.. وأطلقت السلطة حراسها وعسسها للبحث عن مظفر وأصدقائه.. دون جدوى.

ويظل مظفر ستة أشهر مختفياً عن الأنظار فى بغداد.. ثم يتجه متنكراً إلى الجنوب (الأهواز) ليعيش مع الفلاحين والبسطاء ما يقرب من سنة.

وفى عام 1969 يصدر عفو عام عن المعارضين السياسيين ليعود مظفر إلى عمله فى التعليم.

ولم تدم الحال هكذا طويلاً.. فسرعان ما حدثت اعتقالات جديدة.. ليقبض عليه مرة أخرى.. ويفرج عنه بعد فترة قصيرة.

لم يجد مظفر مفراً من ترك بغداد واضطراباتها.. فرحل إلى بيروت ثم إلى دمشق.. وراح يتنقل بين العواصم العربية والأوربية.. ويرحل عن دنيانا منذ سنوات قليلة.

وهو شاعر وصفه كثيرون بأنه الشاعر الثائر.. المتمرد المطارد.. المنفى.. الحزين.. المعارض.. وكانت له طريقة أداء مميزة يجذب بها الجماهير المتعطشة على الاستماع إليه.

وغلب على شعره هذه النغمة الساخرة التى يطلقها فى وجه الحكام العرب.. والنظم السياسية الرجعية.. كما تناول قضية فلسطين التى جعلها قضية القضايا العربية وفى هذا السياق يقول فى قصيدته ( بيان سياسي):

**لن تصبح أرض فلسطين**

**لأجل سماسرة أرضين**

**لا تخشوا أحداً فى الحق**

**فما يلبس حق نصف رداء**

**ليس مقاتل**

**من يدخل نجد بأسلحة فاسدة**

**أو يجبن**

**فالثورة ليست خيمة فصل للقوات**

**ولا تكية سلْم للجبناء**

ومرة أخرى يقول فى الموضوع نفسه:

**من باع فلسطين سوى أعدائك ياوطنى**

**من باع فلسطين وأثرى بالله**

**سوى قائمة الشحاذين على عتبات الحكام**

**ومائدة الدول الكبرى**

**من باع فلسطين سوى الثوار الكتبة**

**أقسمت بتاريخ الجوع.. وبوم السغبة**

**لن يبقى عربى واحد**

**ما دامت حالتنا هذى الحالة**

**بين حكومات الكتبة**

**القدس عروس عروبتكم**

**فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى حجرتها.**

بهذه الكلمات النافذة وخز مظفر النواب الثوار الكتبة والسياسيين الذين فرطوا فى الحق العربى.. وصاروا خدماً للدول الكبرى.

ولم ينج من لسانه الحكام العرب.. حيث راح يهجوهم هجاء لاذعاً قبيحاً.. لا يمكننا أن نذكره هنا.. لكننا مضطرون إلى ذكر أخف الكلمات لمظفر النواب وهو يصف مؤتمرات القمة العربية بقوله:

**قمم.. قمم.. قمم**

**معزى على غنم**

**جلالة الكبش على سمو نعجة**

**على حمار بالقدم**

**وتبدأ الجلسة لا.. ولن.. ولم**

**وتنتهى فدا خصاكم سيدى**

**والدفع كم..!**

ويعود مظفر بدافع قومى عربى يحرض البشر على التخلص من الفساد والرجعية:

**يا قاتلى بكرامة خنجرك العربى**

**أهاجر فى الفقر**

**وخنجرك الفضى بقلبى.. أولادى**

**وطنى علمنى أن أقرأ كل الأشياء**

**وطنى علمنى أن حروف التاريخ مزورة**

**حين تكون بغير دماء**

**وطنى علمنى أن التاريخ البشرى**

**بدون الحب..**

**عويل ونباح فى الصحراء**

**يا وطنى.. هل أنت بلاد الأعداء**

**هل أنت بقية داحس والغبراء**

ويحرض الشباب على الجهاد من أجل الحرية والعدالة.. فيقول:

اتهم.. واقتحم

وبغير المنايا البنادق لا تلتزم

قل أنا البندقية

لست يزيدا ولا المعتصم

وشد صليبك بالبندقية تشتد

أم الجبابر هذى وأم العزَم

واقتحم

أو فأنت الذى تتهم

إن لحمك من لحم سيفك

فاضرب بمذبحة

يلتهمونك أو تلتهم

إنما الرجل البندقية لا يستريح

ولا يحتلم

ما لنا والطلاسم والحظ

انهض إلى حربة اكملت وعيها

نحتكم

ثم يقول:

لا تصدق دعاة بدون بنادقهم

**فأنا كنت فى تلكم المحرقة**

**إنه العصر كل بحجم بنادقه**

**وهنالك من حجمهم.. بطنهم**

**وشعارهم الملعقة**

**أيها القانعون بما تحتهم**

**وطنا.. ومعالقهم ملصقة**

**البنادق.. ثم البنادق**

**ثم البنادق**

**والخطوة الواثقة**

هذه مقتطفات من أشعار هذا الشاعر الثائر الذى اشتهر فى كل الوطن العربى بقدرته على الاستيلاء على قلوب وعقول الجماهير ببساطة وطلاقة وشجاعة نادرة.

ولم يُثْنه الاعتقال ولا السجن ولا النفي عن مقصده القومى وهو تنبيه الشعوب العربية بمصيرها لو ظلت على صمتها وهوانها.